

کتاب

۹۶

د. مختار الوکیل

سفراء النبي عليه السلام
وكتابه ورسائله



دارالمعارف



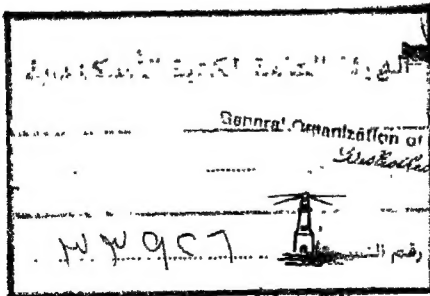
٩٦

حسابك

رئيس التحرير أنيس منصور

د. مختار الوكيل

سفراء النبي عليه السلام
وكتابه ورسائله



مكتبة الإسكندرية

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم

وبعد فقد نزع النفس منذ زمن إلى التعلق بشخصية الرسول الكريم ؛ ومن ثم أخذت أتتبع عن قرب ذلك النور المحمدي المتألق الفياض الذي أنار الله به ظلمات هذا الكون بتلك الرسالة الخالدة . وبذلك القرآن العظيم الذي أوحى به الله إلى عبده ورسوله الأمين . وكان من أهم ما استرعى انتباهي تلك الرسائل الملهمة التي وجهها رسولنا العظيم إلى الملوك والعظماء ، يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام : وهي الرسائل التي حملها رسل النبي ، أولئك السفراء الكرام الذين بلغوا رسائل النبي في إخلاص وأمانة ودراية وحكمة وإقناع . وكانت هذه الرسائل النبوية الشريفة طليعة الدعوة الإسلامية الباهرة التي سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا ، وكتبت للإسلام النصر المؤزر والفتح المبين .

ولقد رأيت أن أكتب للشباب هذه الرسالة عن كتب النبي وكتابه وديوانه حتى يقفوا ولو بصورة سريعة مختصرة على قبس من ذلك النور

المحمدىّ الباهر الذى أنعم الله به على هذا الوجود .
ويالفرط سعادتنا نحن الذين ننعم ونمرح فى هذا النور المُمحمدىّ
الشريف !

فإليك يا سيدى يا رسول الله أقدم فى تواضع وخشية وخشوع هذه
الصفحات ، يشفع لى فيها الصدق والإخلاص ، آملاً أن تظفر منك
يا سيدى بالرضا والقبول ،
وأنال بها من الله العفو والمغفرة . .

الدكتور / مختار الوكيل

أهمية الكتاب والسفراء في مضمار الدعوة الإسلامية

من الموضوعات الهامة في جهاد النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه ، في ميدان الدعوة الإسلامية المباركة - موضوع كتابه ورسائله وسفرائه ، وهو موضوع يكشف لنا عن جانب من جوانب هذه الشخصية العظيمة الجليلة التي بهرت العالم برسالتها الخالدة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

ولقد سجّل عظماء الغرب وأقطابه ومفكّروه الفطاحل اعترافات صريحة صادقة بعظمة الرسول الأعظم وعظمة رسالته الباقية على مرّ الدهور ، ومن هؤلاء ، فولتير وروسو وكارليل وبرناردشو وجيته و نابليون .

ولقد أثر عن نابليون قوله : « آمل أن أجمع وأوحد كل العقلاء والمثقفين من مختلف بلاد الأرض وأقيم نظاماً موحداً على أسس القرآن ومبادئه ، فهي وحدها المبادئ الحق التي يمكن أن تقود البشر إلى السعادة ! »

وقال برناردشو عن دين الإسلام الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام : « سيكون هذا الدين مقبولاً غداً . كما بدأ الناس اليوم يقبلونه فى أوروبا » .

وقال عنه جيته الشاعر الألمانى الكبير : « إذا كان هذا هو الإسلام أفلسنا جميعاً تنفيماً ظلاله ؟ » .

سفراء فوق العادة !

وكتابة الرسائل وإيفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب ، ولقد عرف اليونان والرومان كذا الضرب من الاتصالات الدولية ، وكذلك عرفت الحضارة الصينية القديمة ، وعرفه من قبل قدماء المصريين . ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجاً فى العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة فى العصور الحديثة : فالملوك والرؤساء يوفدون الشخصيات الممتازة فى مهام معينة حاملة رسائل موجهة إلى ملوك الدول المختلفة ورؤسائها . تنطوى على آراء أو مطالب معينة . وهؤلاء الرسل أو من يدعونهم اليوم (السفراء فوق العادة) - وهم غير السفراء الذين يمثلون بلادهم عادة فى تلك البلاد - حصانات دبلوماسية ، فلا يستطيع أحد أن يناهض بسوء ، مهما كان مضمون الرسائل التى يحملونها .

ويختار هؤلاء السفراء فوق العادة من بين الأشخاص الذى يتميزون بالعلم الواسع والذكاء الخارق والسمعة الطيبة والمظهر اللائق والروثق الشائق والمنطق اللطيف والبديهة الحاضرة . حتى يكون لكلامهم أجمل وقع . ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه .

والنبيّ العظيم - صلوات الله وسلامه عليه - قد أقبل على هذه الدنيا برسائله الخالدة التى غيرت وجه التاريخ . وستظل تحمل نور القرآن الكريم أبداً الآبدى .

ولقد ميز الله نبيه العظيم بميزة كريمة فبعثه أمياً . وهو الذى اصطفاه سبحانه لتلقى القرآن . ولتبليغه للناس أجمعين .

وسع ذلك فقد عرف العرب منزلة الكتابة حتى فى الجاهلية : وإن قلت حاجتهم إليها فى معاشهم . ولذلك كان عدد الذين أتقنوا الكتابة فى الجاهلية قليلاً .

وروى الواقدى أن الذين كانوا يعرفون الكتابة فى المدينة أحد عشر شخصاً ، ومهما يكن من شىء فقد كانت الأمية هى الغالبة على أهل الجزيرة العربية .

الكتاب

وكان هذا النبي الأُمى العظيم يتلقى آيات القرآن الكريم من جبريل عليه السلام ، ثم يرددها على أصحابه وأتباعه وأنصاره . وكان كتاب الوحي يسجلون ما يسمعون من النبي الكريم من آيات القرآن العظيم . وكان كتاب الوحي كثيرين ، ولكن أهمهم - كما جاء في كتاب (أنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والأمراء) هم عثمان ابن عفان وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فإن غابا كتب أبيّ ابن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

وذكرت مصادر كثيرة منها كتاب (الاستيعاب) أن أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت كانا ألزم الصحابة لكتابة الوحي .
هذا عن كتاب الوحي .

أما رسائله الشريفة فقد أوصل ابن عساكر في (تاريخ دمشق) كتابها إلى ثلاثة وعشرين كاتباً ، وترجم لهم في نهجه الخافل فأوصلهم إلى خمسة وعشرين : ومنهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلى بن أبي طالب وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأرقم وأبيّ بن كعب وثابت بن قيس بن شماس وخالد بن سعيد بن العاص وأخوه حيّان ، وحنظلة بن أبي عامر الأسدي ، وزيد بن ثابت ومعاوية

ابن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ،
والزبير بن العوام والمغيرة بن شعبة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص
وعبد الله بن رباح ، وعبد الله بن سعيد بن أبي السرح وطلحة
ابن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص والعلاء بن الحضرمي ، وحويطب
ابن عبد العزى العامري .

ولقد أوصل العراق المؤرخ كتابه عليه الصلاة والسلام إلى اثنين
وأربعين كاتباً ، بل لقد ارتفع بهم الحلبى في حواشي الشفا إلى ثلاثة
وأربعين كاتباً . ولكن ما يشهد به كثير من المؤرخين هو أنهم لم يكونوا
كلهم كتاب وحى ، وكان أكثرهم مداومة على كتابة الوحى هو زيد
ابن ثابت كما قدمنا ، بل إنه كان يواظب على تحرير الرسائل الأخرى
والأجوبة عن تلك الرسائل التى تصل النبي عليه الصلاة والسلام .

ديوان النبي

وهكذا نشأ (الديوان) ، وهو الموضع الذى يجلس فيه كتاب
الرسائل ، فلقد بدأ النبي عليه الصلاة والسلام يكتب الأمراء وكان أمراء
سراياه من الصحابة يتابعونه .

ولما رجع ﷺ من الجليسية كتب إلى الروم ، فقليل : إنهم
لا يقرءون كتاباً إلا أن يكون مخطوياً ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه

ثلاثة أسطر : محمد سطر ورسول سطر والله سطر . وختم به الكتاب .
كذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام أول من أملى كتب العهود
والمواثيق . ومنها عهده عليه الصلاة والسلام لنصارى (أيلة) القدس ،
وكان بخط علي بن أبي طالب رضى الله عنه . فقد كان متخصصاً في
كتابة المعاهدات .

وبدأ ديوان الكتاب في عهد النبي يتنظم ويتولى الرد على الرسائل
الموجهة للنبي عليه الصلاة والسلام بلغات أجنبية : ومن ذلك ما روى
عن زيد بن ثابت رضى الله عنه من أن رسول الله ﷺ قال : إنه تأتبنى
كتب ولا أحب أن يقرأها أحد . فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال
السريانية . فقلت : نعم ، يارسول الله . فتعلمتها في سبع عشرة ليلة !

المترجمون

وجاء في (العمدة) للتلسماني أن زيد بن ثابت الأنصارى كان
ترجمان رسول الله ﷺ بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية فضلاً عن
السريانية والعبرية . وأنه تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن .
وجاء في (العقد الفريد) لابن عبد ربه : أن زيدا تعلم الفارسية من
رسول كسرى ، والرومية من حاجب النبي ﷺ ، والحبشية من خادم
النبي والقبطية من خادمته عليه الصلاة والسلام .

میزات کتاب النبیؐ

وكتاب رسائل النبي عليه الصلاة والسلام نماذج حية في الأمانة والاستقامة والتقوى ، فكانوا موضع ثقته الكاملة : ومن ذلك ما رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن أن رسول الله ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم ، فكان يحيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ، ويأمره بأن يطبعه ويختمه ولا يقرؤه لأمانته عنده .

ومما يروى أيضاً في معرض أمانة الكتاب وإخلاصهم المطلق للرسول الكريم ما ذكره البغوي من أن مالكا روى عن زيد بن أسلم عن ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : كتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً ، فقال اعبد الله بن الأرقم الزهري : أجب هؤلاء عني ؛ فأجابهم ، ثم جاء بما كتب يعرضه عليه (عليه الصلاة والسلام) فقال : 'أصبت فيما كتبت. قال عمر : فما زالت في نفسي حتى جعلته على بيت المال ! وقصارانا هنا أن نشير في إيجاز إلى أن كتاب النبي الكريم كانوا يكتبون في مجالات شتى : فمنهم - كما قدمنا - كتاب الوحي القدسي ، ومنهم كتاب الرسائل إلى الملوك والأمراء ، وبعوثه ، ومنهم كتابه إذا عاهد

أوصالح ، ومنهم كتاب حوائجه ومدائنه ومعاملاته ، ومنهم من كان يكتب أموال الصدقات وخرص النخل^(١) .
وهكذا كان ديوانه عليه الصلاة والسلام أول ديوان حافل في الدولة الإسلامية ، وتقصى ذلك والإفاضة فيه يحتاج إلى أبحاث طوال .

(١) تقدير ما على النخل من الرطب الخ.

أسلوب الرسائل النبوية

ولقد اشتهرت رسائله عليه الصلاة والسلام التي بعث بها إلى الملوك والأمرأء يدعوهم فيها إلى الإسلام . وتمتاز هذه الرسائل النبوية الكريمة بأسلوبه الجامع المانع الموجز المحكم المضىء المبين عليه الصلاة والسلام . ولقد فصل القلقشندي الحديث عن رسائله عليه الصلاة والسلام فقال : إنه كان يفتح كتبه بعبارة (من محمد رسول الله) إلى فلان ، وربما افتتحها بلفظ (هذا كتاب) ، وقد يفتتحها بقوله : (أسلم أنت) . وكان عليه الصلاة والسلام يصريح باسم المرسل إليه في أول رسالته ، وربما اكتفى بلقبه الذي اشتهر به (كالقيصر) مثلاً ، فإن كان المرسل إليه ملكاً كتب بعد ذكر اسمه (عظيم القوم) ، وربما كتب (صاحب مملكة كذا) ، وكان يعبر عن نفسه ﷺ في ثانيا رسائله بلفظ المفرد مثل (إني ، ولي ، وجاعني ووفد على . . وما أشبه ذلك) . وربما جاء بصيغة الجمع مثل (بلغنا وجاعنا ونحو ذلك) وكان يخاطب المرسل إليه بكاف الخطاب مثل لك وعليك وتاء المخاطب مثل أنت قلت كذا وكذا وجعلت كذا ، وعند التثنية يقول : إنهما ولكما وعليكما ؛ وعند الجمع بلفظه مثل : أنتم ولكم وعليكم وما أشبه . ثلثك .

وكان يبدأ رسائله بالسلام : فيقول في خطاب المسلم : سلام عليك ؛ وربما قال : السلام على من اتبع الهدى ، وربما أسقط السلام في صدر الخطاب . وكان يأتي في صدر الرسالة ، بالتحميد بعد السلام فيقول إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ وقد يأتي بعد التحميد بالتشهد ، وكان يخلص بعد ذلك إلى المقصود تارة (فأما بعد) وتارة بغيرها ، وكان يختم كتابه عليه الصلاة والسلام تارة فيقول في خطاب المسلم : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وربما اقتصر على السلام . ويقول في خطاب الكافر : والسلام على من اتبع الهدى . وربما أسقط السلام في آخر كتبه .

وكتبه عليه الصلاة والسلام إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام قد افتتحها على ثلاثة أساليب :

أولها أنه عليه الصلاة والسلام يبدأها بعبارة (من محمد رسول الله إلى فلان) .

وثانيها بأما بعد ؛ وثالثها أن يفتتح الرسالة بلفظ (هذا كتاب) . . . وكان من عادة كتاب رسائله الشريفة أن يذكرها أسماءهم آخرها لعلهم يرجون أن يكونوا شاهدين على صدورهم منه عليه الصلاة والسلام .

وروى الشعبي أن رسول الله ﷺ كان يكتب كما تكتب قريش (باسمك اللهم) ثم نزلت عليه الآية الشريفة (اركبوا فيها باسم الله مجريها

ومرسلها - سورة هود - ٤١) فكتب عليه الصلاة والسلام (باسم الله)
 حتى نزلت عليه آية : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن - الإسراء ١١٠)
 فكتب (باسم الله الرحمن) حتى نزلت عليه آية (إنه من سليمان وإنه بسم
 الله الرحمن الرحيم - سورة النمل - ٣٠) فكتب (بسم الله الرحمن
 الرحيم) .

السبب في إرسال الرسائل النبوية

قال ابن هشام في سيرة النبي ﷺ :
 حدثني من أتق به عن أبي بكر الهذلي قال :
 بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته
 التي صد عنها يوم الحديبية ، فقال :
 «أيها الناس ، إن الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا عليّ كما
 اختلف الحواريون على عيسى بن مريم» فقال أصحابه :
 وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟
 قال : «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه» .
 فأما من بعثه مَبْعُوثاً قريباً فرضى وسلم .
 وأما من بعثه مَبْعُوثاً بعيداً فكره وجهه وَتَثَاقَل .
 فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المثاقلون وكل واحد منهم يتكلم
 لغة الأمة التي بعث إليها .
 واستطرد ابن هشام قائلاً :
 فبعث رسول الله ﷺ - إثر ذلك - رسلاً من أصحابه ، وكتب
 معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام :

فبعث دِحْيَةَ بن خليفة الكلبىَّ إلى قيصر ملك الروم . وبعث
عبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس ؛ وبعث
عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب
ابن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية . وبعث عمرو بن العاص
السهمىَّ إلى جيفر ، وعياذ ابنى الجلندى الأزديين ملكىَّ عمال ، وبعث
سليط بن عمرو إلى تمامة بن أثال وهوذة بن علىَّ ملكى اليمامة . وبعث
العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين . وبعث
شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسافى ملك ثغوم
الشام . . إلخ . . إلخ . .

السفير دِحْيَةُ الكلبىَّ

وحامل رسالته عليه الصلاة والسلام إلى قيصر ملك الروم سفير من
أعظم سفرائه ، وهو دحية الكلبىَّ . وكان شاباً صادق الإيمان من الرعيل
الأول الذى تخرج فى المدرسة المحمدية المثالية العليا . وكان جميل
الصورة ، عظيم الذكاء ، وقيل فى وصف جماله : إن جبريل عليه
السلام كان يفد على النبى عليه الصلاة والسلام فى مثل صورته .
وذكر السهيلي عن ابن سلام فى قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أولهواً

انفضوا إليها^(١) فقال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لفرط جماله !
وروى أنه كان إذا قدم إلى الشام لم تبق مخدرة إلا خرجت لتنظر
إليه !

ويقال : إن دحية كان أجمل أهل زمانه ، وبلغ من أثر جماله في
الخلق أنه لما قدم المدينة واستقبله الناس ما رأته امرأة حامل إلا ألقت
ما في بطنها !

وذكر العيني في (العمدة) أن دحية كان غالباً ما يمشى مثلثاً خشية
أن تُفَقِّن النساء به !

كيف وصل كتاب النبي إلى قيصر؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما :
لما جاء كتاب النبي ﷺ إلى قيصر قال حين قرأه : التمسوا لي رجلاً
من قومه أسأله عن رسول الله ﷺ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فأخبرني أبو سفيان أنه كان بالشام
رجال من قريش قدموا تجاراً ، وذلك في الفترة التي نشب فيها القتال بين
رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين كفار قريش . فأتاني رسول
قيصر ، فانطلق بي وبأصحابي . وأدخلنا عليه ، فإذا هو جالس في

مجلس ملكه عليه التاج ، وإذا حوله عظماء الروم ؛

فقال لترجمانه :

سلمهم : أيهم أقرب نسباً من هذا الرجل ؟

(يعنى النبي ﷺ) .

قلت : أنا

قال : وما قرابتك منه ؟

قلت : ابن عمى

(قال أبو سفيان : وليس فى الركب رجل من عبد مناف غيرى) .

فقال قيصر : ادنه منى !

ثم أمر بأصحابى فجعلوا خلف ظهرى : ثم قال لترجمانه :

قل لأصحابه : إني سائل هذا عن هذا الرجل (يعنى رسول الله ،

ﷺ) فإن كذبنى فكذبوه !

قال أبو سفيان : فوالله ، لولا الحياء يومئذ أن يؤثر عنى الكذب

لكذبتنه حين سألتى ، ولكنى استحيت أن يؤثروا عنى الكذب ، فصدقته

عنه .

ثم قال لترجمانه : قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب !

قال : فهل قال هذا القول أحد قبلك ؟

قلت : لا .

قال : فهل كنتم تتهمونہ بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قلت : لا

قال : فهل كان من آباءه من ملك ؟

قلت : لا

قال : فأشرف الناس اتعوه أم ضعفائهم ؟

قلت : بل ضعفائهم !

قال : فيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : يل يزيدون !

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطاً على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن منه الآن على خلاف ونحن نخاف ذلك .

قال : فهل قاتلتموه وقتلكم ؟

قلت : نعم .

قال : فكيف كانت حربه وحربكم ؟

قلت : كانت دولاً سجلاً ، يدال علينا المرة ويدال عليه الأخرى .

قال : فبم يأمركم ؟

قلت : يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ، وبيننا عما كان

يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة والوفاء بالعهد

وأداء الأمانة !

قال أبوسفیان :

فقال قيصر لترجانه :

قل له : إني سألتك عن نسبه فبكم ، فزعمت أنه ذونسب ، وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها .

وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ، فزعمت : أن لا :

قلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يتأسى بقول

قيل قبله !

وسألتك : هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؛

فزعمت أن لا !

فعرفت أنه لم يكن لينذر الكذب على الناس ويكذب على الله !

وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟

فزعمت أن لا ؛ فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب

ملك آبائه !

وسألتك : أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه ، والضعفاء هم أتباع الرسل !

وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؟

فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم !

وسألتك : أيرتد أحد سخطاً على دينه بعد أن يدخل فيه ؟

فزعمت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل قاتلتموه وقتلكم ؟

فزعمت أن قد فعل ، وأن حربيه وحربكم تكون دولاً : يدال عليكم مرة . وتداولن عليه الأخرى .

وكذلك الرسل تُبْتَلَى ، ثم تكون لها العاقبة !

وسألتك : بماذا يأمركم ؟

فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ،
وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ، ويأمركم بالصدق والوفاء بالعهد وأداء
الأمانة ، وهذه صفات نبيّ قد كنت أعلم أنه خارج !

ولكن لم أظن أنه منكم ! وإن يكن حقاً ما قلت فيوشك هذا
الرجل أن يملك موضع قدميّ هاتين ! والله لو أعلم أني أخلص إليه
لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه !

قال أبو سفيان :

ثم دعا قيصر بكتاب رسول الله ﷺ ، فأمر فقرأ ، فإذا به :
« بسم الله الرحمن الرحيم » .

من محمد بن عبد الله ورسوله

إلى هرقل عظيم الروم ،

سلام على من اتبع الهدى . . .

أما بعد . .

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم . يؤتك الله أجره مرتين .
 فإن توليت فعليك إثم الأريسيين (القاتلين) .
 (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
 ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا
 فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (١) .

حوار دحية مع قيصر !

وقال السهيلي في الروض ص ٣٥٥ من الجزء الثاني :

لما قدم دحية على قيصر قال :

يا قيصر : أرسلني من هو خير منك ، والذي أرسله هو خير منه
 ومنك . فاسمع بذل ثم أجب تنصح ؛ فإنك إن لم تدلل لم تفهم . وإن
 لم تنصح لم تنصف .

قال قيصر : هات !

فقال دحية : هل تعلم أكان المسيح يصلي ؟

قال : نعم !

قال دحية : فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له ! وأدعوك إلى
 من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه ، وأدعوك إلى هذا

النبيّ الأُمّيّ الذي بشر به موسى ، وبشر به عيسى ابن مريم ، وعندك من ذلك إثارة من علم تكفي عن العيان . فإن أحببت كانت لك الدنيا والآخرة ، وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا ! واعلم أن لك رباً يقصم الجبابرة ويغير النعم !

فأخذ قيصر الكتاب ووضعه على عينيه ورأسه ، وقبّله وقبل خاتم الرسول الكريم ، ثم قال :

أما والله ما تركت كتاباً إلا قرأته ولا عالماً إلا سألته ، فما رأيت إلا خيراً ، فأمهلني حتى أنظر : من كان المسيح يصلي له ؟ فإنني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ما هو أحسن منه ، فأرجع عنه فيضرنني ذلك ولا ينفعني ، أقم حتى أنظر !

وروى البخاري أنه لما تلى كتاب النبي عليه الصلاة والسلام على هرقل (قيصر) غضب ابن أخيه غضباً شديداً وقال : أرفى الكتاب ! قال قيصر : وما تصنع به ؟

قال ابن أخيه : إنه بدأ بنفسه ، وسماك صاحب الروم ! فقال قيصر :

والله إنك لضعيف الرأي ! تريد أن أرمي كتاب رجل أتاه الناموس الأكبر ! لأن كان رسول الله إنه أحق أن يبدأ بنفسه ، وقد صدق فأنا صاحب الروم !

ثم أمر قيصر بإكرام دحية الكلبي سفير رسول الله ﷺ .

والواقع أن البحث ليتشعب كثيراً لو حاولنا التوسع في الحديث عن ذلك الحوار الشائق الذى دار بين رسل النبي عليه الصلاة والسلام والملوك والأمراء الذين أرسلوا إليهم : فعلى من يرغب فى ذلك التوسع أن يرجع إلى الجزء الثانى من كتاب (الروض) للسهيلى ففيه تفصيل الحوار البارع الذى أداره بتوفيق الله وهدايته أولئك الرسل الكرام الذين أوفدهم المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والأمراء والحكام الأجانب ، مما ينبغى أن يدرسه ويحققه ويعيه ويستوعبه كل الدارسين وطلاب المعرفة من المسلمين بل غيرهم ممن هم مهتمون بتدريب سفراء الغد ورجال السلك السياسى تدريباً قوياً من شأنه إطلاق المنطق السليم المستقيم من عقاله ، وإخراج الحجة الدامغة فى اللحظة الحاسمة لتكون فصل الخطاب !

أين رسالة النبي لقيصر اليوم؟

وروى الحافظ السهيلي في (المروض) ص ٣٢١ من الجزء الثاني أن (هرقل) قيصر وضع كتاب النبي ﷺ في قصبة من ذهب تعظيماً له . وأنهم لا يزالون يتوارثونه كابراً عن كابر في أرفع مِحْرَابٍ وأعز مكان حتى كان عند (أدمونش) الذي تغلب على (طليطلة) وما أخذ من بلاد الأندلس ، ثم كان عند ابن بَنْتِه المعروف بابن (السلطنة) .

وروى الشيخ عبد الحى الكتاني في كتابه المعروف (نظام الحكومة النبوية) قول الحافظ بن حجر في (فتح الباري) الأثر الذي أحدثه كلام السهيلي : وأنبأنا غير واحد عن القاضي نور الدين بن الصائغ الدمشقي أنه قال : حدثني سيف الدين فليج المنصوري ، قال : أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك المغرب هدية ، فأرسلني ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها ، وعرض على الإقامة عنده ، فامتنعت ، فقال : لَأَتَجِفَّنَكَ بتحفة سنية . فأخرج لي صندوقاً مصبغاً يذهب ، فأخرج منه مقلمة من الذهب ، فأخرج منها كتاباً قد رأيت أكثر حروفه وقد التصقت على حرفه حزيرة ، فقال : هذا كتاب نبيكم إلى جدى الأعلى (قيصر) وما زلنا نتوارثه إلى الآن ، وأوضانا آبائنا أنه ما دام هذا

الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا ، فنحن نحفظه عاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا !

ويعلق الشيخ عبد الحى الكتانى فى كتابه (نظام الحكومة النبوية) الجرة الأول على هذا بقوله : «ويؤيد هذا ما وقع فى حديث سعيد ابن أبى راشد من أن النبى ﷺ عرض على التنوخى رسول (هرقل) قيصر الدخول فى الإسلام فامتنع ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا أخا تنوخ ، إني كتبت إلى ملككم بصحيفة فليمسكها . فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام فى العيش خير ! » .

وكذلك أخرج أبو عبيد فى كتاب (الأحوال) عن عمير ابن إسحاق ، قال :

كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر وكسرى : فأما كسرى فلما قرأ الرسالة مزقها ، وأما فيصر فلما قرأها طواها ثم رفعها ، فقال رسول الله ﷺ ، أما هؤلاء فيمزقون ، وأما أولئك فستكون لهم بقية !

ويؤيد ذلك ما روى من أن النبى ﷺ لما جاءه جواب كسرى قال : مزق الله ملكه ؛ ولما جاء جواب قيصر قال : ثبّت الله ملكه ! هذا وقد تواترت الأنباء منذ مدة أن أحد حكام العرب ، قد اشترى الرسالة النبوية الكريمة التى كانت أرسلت إلى قيصر . ولاشك أن العالم الإسلامى يهيمه كثيراً أن يكشف عن وجه الحقيقة فى هذا الأمر الجليل وأن يقطع الشك باليقين !

ولقد أفضت الحديث عن رسالة النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى
قيصر . والحق أن الكلام عن هذه الرسالة الشريفة وحدها يطول
ويتشعب . ويمكن أن يكتب المرء عنه رسالة قائمة بذاتها ولضيق المقام
نجتزئ بهذا الحديث المفصل عن هذه الرسالة الشريفة .

خاتم النبي

أشربا فيما تقدم إلى أن النبي ﷺ كان يختم رسالته بخاتمه الشريف .
وفي ذلك يقول البخارى نقلاً عن أنس رضى الله عنهما : « إنه
لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : لن يقرءوا كتابك
إذا لم يكن محتوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة . ونقشه : (محمد رسول الله)
فكأما أنظر إلى بياضه في يده ﷺ » . وعن أس رضى الله عنه قوله
كذلك :

كان خاتم النبي ﷺ (محمد - في سطر ورسول في سطر والله في
سطر وإنها كانت تقرأ من أسفل فصاعداً ليكون اسم الله فوق الجميع » .
وقال المهلب ، كان عليه الصلاة والسلام لا يستغنى عن الختم به في
الكتب التي يبعثها إلى البلدان ، وفي أجوبة العمال وقواد السرايا .
وكان الرسول عليه الصلاة والسلام أول من ختم الرسالة بخاتمه
الشريف من قريش وأهل الحجاز . على ما رواه السيوطي .

صاحب خاتم النبي

وكان لخاتم النبي عليه الصلاة والسلام حافظ يطلق عليه اسم صاحب الخاتم ، ويحفظه عندما يخلعه عليه الصلاة والسلام .
وتقول بعض الروايات : إن صاحب خاتم الشريف هو معيقب ابن أبي فاطمة ؛ وتقول روايات أخرى : إنه كان يعهد لخاتم الشريف إلى حنظلة بن الربيع بن صيفي ابن أخي الكتم بن صيفي الأسدي .

نصوص الرسائل النبوية

١ - رسالة النبي إلى كسرى^(١)

وجه النبي عليه الصلاة والسلام رسالة إلى كسرى عظيم الفرس وفيما يلي نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده . لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل . فإني رسول الله إلى الناس كلهم لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين .

أسلم تسلم فإن توليت فعليك إثم المجوس . » .

وقد حمل هذا الكتاب العظيم إلى كسرى السفير النبوي الكريم عبد الله بن حذافة السهمي ، فلما قرئ على كسرى مزقه . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ . فقال كلمته الخالدة : مُزَقْ ملكه !

(١) سبق أن أثبتنا فيما تقدم من الحديث نص الرسالة النبوية الشريفة إلى قيصر الروم .

وقد كان كما نطق النبي الكريم !

وروى في كتاب الأموال لأبي عبيد عن عمير بن إسحاق ، قال :
بعث رسول الله ﷺ رسالة إلى كسرى وأخرى إلى قيصر ، فلما قرأ كسرى
الرسالة النبوية الشريفة مزقها ، ولما قرأ قيصر رسالته عليه الصلاة
والسلام طواها ثم رفعها وحفظها ، فقال عليه الصلاة والسلام تعليقاً
على هاتين الحادثتين :

أما هؤلاء (يعني الفرس) فَيَمَزُقُون ، وأما هؤلاء (يعني الروم)
فستكون لهم بقية !

وروى كذلك أنه لما جاءه عليه الصلاة والسلام جواب كسرى قال
كما سبق أن ذكرنا :
- مَزَقَ ملكه !

ولما جاءه جواب هرقل قيصر الروم قال :
- ثَبَتَ ملكه !

٢ - الرسالة النبوية إلى النجاشي

وكتب عليه الصلاة والسلام رسالة إلى النجاشي جاء فيها قوله
الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، أما بعد فإنني أحمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن .
وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة
الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقته من روحه ، ونفخه كما نفخ آدم
بيده . وإني أدعوك إلى الله وحده ، لا شريك له ، والموالة على
طاعته ، وأن تتبغني وتؤمن بالذي جاءني ؛ فإنني رسول الله ، وإني
أدعوك وجنودك إلى الله تعالى ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي .
وقد بعثت فيكم ابن عمي جعفرأ ، ومعه نفر من المسلمين .

والسلام على من اتبع الهدى » .

وبعث عليه الصلاة والسلام كتابه الكريم مع عمرو بن أمية
الضمري .

فقال النجاشي عندما تلا الخطاب الشريف :

« أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب . وأن بشارة

مومني براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل » !

جواب النجاشي على رسالة النبي

ثم كتب النجاشي جواب الكتاب الكريم إلى النبي ﷺ ، فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

«إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة» ،
سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، الله الذي لا إله
إلا هو الذي هداني للإسلام .
أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى
فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثغروقاً^(١) إنه كما
ذكرت .

وقد عرفنا ما بعثت به إلينا .
فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتك . وبايعت
ابن عمك ، وأسلمت على يديه لرب العالمين .
وقد بعثت بابني ، وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت يا رسول الله .

(١) الثغروق هو ما بين النواة وقعر الثمر .

فإني أشهد أن ما تقوله حق .
 والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .
 وقد أرسل ابنه مع ستين رجلاً في إثر من أرسلهم مع جعفر
 ابن أبي طالب . ففرق ابنه ومن معه .
 ووافى جعفر بن أبي طالب وأصحابه رسول الله ﷺ . وكانوا
 سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف . منهم اثنان وستون من الحبشة .
 وثمانية من أهل الشام .
 فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس الكريمة إلى آخرها .
 فبكوا حين سمعوا القرآن . وآمنوا . وقالوا :
 - ما أشبه هذا بما كان أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام !
 وفيهم نزل قول الله تعالى :
 (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا إنا نصارى . ذلك
 بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى
 الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا
 آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) (١) .

٣- رسالة النبي إلى المقوقس

وبعث النبي عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس . ملك مصر والإسكندرية . رسالة جاء فيها قوله الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد عبد الله ورسوله ،

إلى المقوقس عظيم القبط ،

سلام على من اتبع الهدى ،

أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ،

يؤتلك الله أجرك مرتين ،

فإن توليت ، فعليك إثم القبط ،

(يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله

ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا

فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ^(١) .

وحمل الرسالة الشريفة السفير النبوي حاطب بن أبي بلتعة ، فأخذ

المقوقس كتاب النبي ﷺ ، فوضعه في حق من عاج ، ودفعه لجارية

له ، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى النبي ﷺ :

(١) آل عمران / ٦٤ .

نصّ جواب المقوقس

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله .

من مقوقس عظيم القبط .

أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرته وما تدعو إليه .

وقد علمت أن نبياً بقى . وقد كنت أظن أن يخرج بالشام .

وقد أكرمت رسولك ،

وبعثت إليك بجاريتين لما مكان من القبط عظيم . وبكسوة

وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام .

ولم يزد المقوقس على ذلك . ولم يسلم .

٤ - رسالة النبي ﷺ إلى ملك البحرين

وكتب عليه الصلاة والسلام كتاباً إلى المنذر بن ساوى مست
اليحزين . يدعو فيه إلى الإسلام . وبعث الكتاب الشريف مع سفير
كريم هو العلاء بن الحضرمي . فكتب المنذر بن ساوى إلى رسوله ﷺ :
ﷺ يقول :

(أما بعد يا رسول الله - فإني قرأت كتابك على أهل البحرين
فهم من أحب الإسلام وأعجبهم ودخل فيه ، ومعه من كرهه
وبأرضي يهود ومجوس . فأحدث إلي في ذلك أمر !) .
فكتب إليه الرسول الكريم ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد رسول الله ،

إلى المنذر بن ساوى ،

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . وشبهه

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل : فإنه من ينسح

٤٠

لنفسه . ومن يطع رسله ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن ينصح لهم فقد
نصح لى .

وإن رسلى قد أثنوا عليك خيراً . وإنى قد شفعتك فى قومك . فاترك
للمسلمين ما أسلموا عليه .

وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم . وإنك مهما تصلح فلن
نغزلك من عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مسيحيته فعليه الجزية . » .

٥ - رسالة النبي إلى ملكي عمان

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان رسالة بعث بها مع عمرو
ابن العاص ، جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد عبد الله ورسوله ،

إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ،

سلام على من اتبع الهدى ،

أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ،

أسلمنا تسليماً ؛ فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً وبحق

القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتأ أن

تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، ونظهر

نبوتي على ملككما . » .

وكان الذي تولى تحرير هذه الرسالة الشريفة الصحابي الجليل أبي

ابن كعب ، وختم الكتاب ، فأجابا بالإسلام .

وفي ذلك يقول عمرو بن العاص :

(وقد خليا بيني وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهم ؛ وكانا لي

عوناً على من خالفني !)

٦ - الرسالة النبوية إلى صاحب الإمامة

يكتب عليه الصلاة والسلام إلى هودّة بن علي صاحب الإمامة رسالة
بسم الله مع سبط بن عمرو العامري . وهي تجري على النسق التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

عن محمد رسول الله

هودّة بن علي

بسم علي من اتبع الهدى

ما عمير أن ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر ،

ما سمع تسلم

أجعل لك ما تحت يدك .

فما قدم عليه سبط بكتاب رسول الله ﷺ مختماً أنزله منزلاً كريماً

بحياة وقرأ عليه الكتاب .

يكتب إلى النبي ﷺ يقول :

يا أحسن ما تدعو إليه وأجمله ! والعرب تهاب مكاني ، فاجعل لي

بعض الأمر تبعك .

وأجاز سليطاً مبعوث النبي الكريم بجائزة . وكساه أثواباً من نسج
هجر . فقدم بذلك على النبي ﷺ . وقرأ خطابه .
فقال النبي ﷺ :

- لو سألتني قطعة من الأرض ما فعلت !

باد وباد ما في يده !

فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاء جبريل عليه السلام فقال :

إن هوزة قد مات !

فقال النبي ﷺ .

- أما الإمامة فسيظهر بها كذاب يتنبا . ويقتل بعدى ! فكان كذلك !

٧- رسالة النبي إلى الحارث

ابن أبي شمر الغساني

وكتب ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وكان بغوطة دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله .

إلى الحارث بن أبي شمر .

«سلام على من اتبع الهدى . وآمن بالله وصدق .

وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » .

وأرسل النبي الكريم رسالته الشريفة مع شجاع بن وهب ، فلم يسلم

الحارث . فقال عليه الصلاة والسلام :

- باد وباد ملكه !

وقد كان !

٨ - رسالة النبي إلى تميم بن أوس الدارى

وقدم على النبي ﷺ تميم بن أوس الدارى في ستة نفر من الدارين
فأسلموا جميعاً . وسألوه . ﷺ أن يعطيهم أرضاً من أرض الشام .
فأعطاهم إياها . وكتب لهم في ذلك كتاباً شريفاً فحواه كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد ﷺ للدارين إذا أعطاه الله
الأرض ، وهب لهم بيت عيون وحبرون والمرطون وبيت إبراهيم ومن
فيهم إلى أبد الأبد » .

وشهد على هذه الرسالة الجليلة عباس بن عبد المطلب عم النبي
وخزيمة بن قيس وشرجيل بن حسنة وهو الذي تولى كتابة الرسالة .
ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام :

- انصرفوا حتى تسمعوا أنى هاجرت (أى رجعت إلى المدينة) ؛ لأن
قدومهم كان عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك . فلما رجع
ﷺ إلى المدينة قدموا عليه ، فسألوه أن يجدد لهم كتاباً آخر . فكتب
كتاباً فيما يلي نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما أعطى^(١) محمد رسول الله تيمناً الدارى وأصحابه :
 إني قد أعطيتهم بيت عين وحبرون والمرطون وبيت إبراهيم برمتها
 وجميع ما فيها عطية بتّ ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من
 بعدهم أبد الأبد : فمن آذاهم فيه آذاه الله .
 وشهد على هذه الرسالة النبوية أبو بكر بن أبي قحافة وعمر
 ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب : أى الخلفاء
 الراشدون جميعاً ؛ وكان على رضى الله عنه هو الذى تولى تحرير الرسالة
 بخطه ؛ فقد كان من كبار كتاب النبي ﷺ .

والحديث عن هذه الرسالة يطول وكذلك شرح ظروفها ويمكن
 الرجوع إلى كتاب (نظام الحكومة النبوية) لمؤلفه الشيخ عبد الحمى
 الكتانى المغربى ، للوقوف على تفاصيل تلك الروايات المختلفة .

(١) فى معظم الروايات وردت (أنطى) بمعنى أتا ط ووهب وأعطى - وقد وردت الرسالة
 بأساليب مختلفة .

٩- رسالة النبي إلى صاحب أيلة (بيت المقدس)

وكتب عليه الصلاة والسلام ليوحنا بن رؤية . صاحب أيلة (بيت المقدس) لما أتاه بتبوك . وصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه أمانة (أى أمان) من الله . ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤية وأهل أيلة ، أساقفتهم وسيارتهم فى البر والبحر - لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر . فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه . وأنه طيب لمن أخذه من الناس . وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه . ولا طريقاً يريدونه من برّ أو بحر) .

١٠- رسالة النبي إلى أهل جرباء وأذرح

وكتب ﷺ لأهل جرباء وأذرح لما أتوه بتبوك وأعطوه الجزية :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح
إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد .

وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم
بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين في
المخافة .

١١ - رسالة النبي إلى ابن ضميرة

(من محمد رسول الله لابن ضميرة وأهل بيته : إن رسول الله ﷺ أعتقهم ، وإنهم أهل بيت من العرب ، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله ﷺ ، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم ، فلا يعرض لهم إلا بحدّ . ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً) .
وكانت هذه الرسالة بخط أبي بن كعب كاتب الرسول الكريم .

صور سريعة :

سفراؤه عليه الصلاة والسلام

في ثنايا حديثنا عن رسائله عليه الصلاة والسلام ذكرنا بعض أسماء رسله أو سفرائه وقد كان عليه الصلاة والسلام يختارهم بنفسه من بين صحابته الأقربين .

وكانوا جميعاً من الشباب المؤمنين الذين يكفهم شرفاً وفخاراً أن يكونوا من صنع النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام .

كانوا يتحلون بالسجيا الكريمة والخصال الشريفة وجمال الصورة ونقاء السريرة . فضلاً عن توقد الذكاء والملاحية الشفافة والبديهة الحاضرة والحجة الباهرة . ولا غرو فهم يمثلون ذلك الرعيل الأول من تلك المدرسة الإلهية العظمى التي غزت الدنيا بأسرها في أعوام معدودات . وحققت النصر المبين لدين الله القويم الذي انتشر في الآفاق انتشار النار في الهشيم ، وغير وجه الدنيا بأسرها ، وكتب التاريخ البشري من جديد كتابة أذهلت العالم . وطبعت الحضارة بالطابع المحمدي العظيم في بضع سنين .

أول السفراء

عمرو بن أمية الضمري

وكان أول سفرائه عليه الصلاة والسلام هو عمرو بن أمية الضمري . وقد سبق أن أوردنا أنه أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة الذي استجاب لدعوة الإسلام .

السفير دحية الكلبي

ثم بعث عليه الصلاة والسلام دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر كما قدمنا ، وكان شاباً جميل الصورة والحلق . إلى درجة جعلت الناس يروون عنه القصص والأساطير . فقد قيل مثلاً إن النساء الحوامل كن يجهضن بمجرد رؤيتهن له وهو يمشي في الطريق . وذلك لفرط جماله ! وقيل : إن النبي ذكر في بعض أحاديثه الشريفة أن دحية كان قريب الشبه بالصورة التي كان يبدو عليها جبريل كلما ظهر للنبي الكريم . ولقد كان لجمال دحية أثر عظيم في نفس قيصر وحاشيته عندما قدم عليهم حاملاً رسالة النبي الكريم ، فضلاً عن رجاحة عقله وسرعة بديته وهيبته الشخصية الطاغية .

السفيران عبد الله السهمي . . .

. . . وحاطب بن أبي بلتعة

وهذا الكلام ينصرف وينطبق على عبد الله السهمي الذي أوفده عليه الصلاة والسلام إلى كسرى ، وحاطب بن أبي بلتعة رسوله إلى المقوقس .

وكان عبد الله السهمي القرشي من صحابة النبي الكريم ، وكانوا يلقبونه بالمبرق وروى عنه أنه قال :

إذا أنا لم أبرق فلا يسعني
من الأرض برّ أو فضاء ولا بحر

وتقول بعض الروايات إنه قتل باليمامة ، وتفيد روايات أخرى أنه قتل بالطائف .

أما حاطب بن أبي بلتعة اللخمي فهو صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ وكان من أشد الرماة في الصحابة ، وكانت له تجارة واسعة ، وقد بعثه النبي عليه السلام برسالته الخالدة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ومات بالمدينة المنورة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية .

فريق من أمجد السفراء

وأوفد عليه الصلاة والسلام شجاع بن وهب إلى ملك البلقاء الحارث بن أبي شمر الغساني وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة وتمامة ابني أثال الحنفي .

كما أرسل عليه الصلاة والسلام عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعان ، وأوفد العلاء الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وبعث عليه الصلاة والسلام المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن ، كذلك أوفد عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك . ثم أوفد إلى اليمن كذلك عليّ ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

كما أوفد جرير بن عبد الله البجلي إلى ذى كراع وعمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب .

وبعث عليه الصلاة والسلام إلى فروة بن عمرو الجذامي . وكان عاملاً لقيصر في مغان يدعو إلى سلام ، فأسلم وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد . وهي بغلة شهباء يقال لها

فضة . وفرس يقال لها الطَّرب ، وحمار يقال له يعفور ، وبعث كذلك
أثواباً وقباء سندسياً مذهباً فقبلت هديته . ووهب لمسعود اثنتي عشرة
أوقية .

* * *

تلك صورة سريعة لبعض سفراء النبي الكريم عليه أفضل الصلاة
وأتم التسليم ، ومنها يتجلى لنا بما لا يقبل الشك أو المناقشة أنه عليه
السلام كان أول من أوفد السفراء فوق العادة ، يحملون الرسائل
الكريمة ، مجهزة بخاتمه الشريف الذي سبق أن أشرنا إلى أنه كان يتألف
من ثلاثة سطور في أحدها محمد ، وفي الثاني رسول ، وفي الثالث اسم
الله : وهو أعلى هذه السطور الثلاثة .

واعتقد أن التاريخ البشرى الذي حفظ لنا أسماء بعض الملوك والقادة
وأسماء من بعثوا من الرسل يحملون من قبلهم رسائلهم لغيرهم من الأمم -
لم يسجل لنا وهذه الصورة الرائعة الآسرة نصوص تلك الرسائل . كما
فعل مع الرسائل النبوية الشريفة الخالدة التي شاء الله العلي القدير أن تبقى
ثابتة متواترة على مدى الدهور خالدة بنصها وروحها في ثنايا السطور
الباهرة وفي أعماق القلوب الواعية الذاكرة !

صور سريعة :

كتاب النبي

عليه الصلاة والسلام

لا شك أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين . هم طليعة كتاب النبي ﷺ . ويليهم الكثير من صحابته . من المهاجرين والأنصار .

وسنحاول في السطور التالية أن نثبت في عبارة موجزة بعض المعلومات المختصرة عن المشهورين من كتابه عليه السلام . مستثين من ذلك البيان الخلفاء الأربعة الراشدين .

١ - أبي بن كعب :

يعتبره المؤرخون من أعلم الصحابة بكتاب الله الكريم . وهو من أسبق الناس إلى الإسلام وأجودهم تلاوة للقرآن .

وروى أن النبي عليه السلام قال له :

- إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن .

فقال أُبَيّ :

— الله سمّاني لك ؟

فقال النبي عليه السلام :

— الله سمّاك لى !

فانطلق أبى باكياً !

وهو من أشهر كتاب النبي وأرسخهم قدماً . وكان هو أول من كتب
لرسول الله ﷺ عندما قدم المدينة المنورة .
وهو من الأنصار . وَيَتَمَى لبيت بنى النجار .

٢ - الزبير بن العوام :

هو ابن عمّة رسول الله وحواريه ، أسلم وهو حدث ابن ثمانى سنين .
وكان قد أشيع أن النبي عليه السلام قد أخذه الكفار ، وذهبوا به إلى
أعلى مكة ، فخرج الزبير - وهو ابن اثنتى عشرة سنة - وقد شهر سيفه
فلما رآه النبي عليه السلام قال له :
— مالك يا زبير ؟

فقال :

— أتيت أضرب بسيفى من أخذك !

وفى يوم بدر كان مع رسول الله فارسان : الزبير على فرس على الميمنة
والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة .
وأعطاه النبي عليه السلام لواء سعد بن عباد يوم فتح مكة ، فدخل

الزبير مكة بلوامين ، ثم اشترك في جميع الغزوات التي غزاها رسول الله ﷺ .
 وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . وعنه قال النبي عليه السلام :
 « لكل نبي حوارى وحوارى الزبير ! » .

٣ - زيد بن ثابت :

وهو من الأنصار ، كان في الحادية عشرة من عمره عندما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة .
 وفي أول لقاء له مع النبي الكريم قرأ عليه القرآن ؛ وكان قد حفظ منه سبع عشرة سورة فأعجب النبي بتلاوته .
 وهو - إلى جانب حفظه للقرآن - من كتاب الوحي .
 كما أمره النبي العظيم بتعلم اللغة العبرانية فأجادها وأتقنها في أسبوعين ، وكان يكتب رسائل النبي إلى اليهود بتلك اللغة ، وينقل له عليه السلام ما يأتيه من رسائلهم ؛ كما كان يكتب رسائل النبي إلى الملوك .
 وكان الرسول الكريم يستدعيه لكتابة القرآن ، وروى البراء ابن عازب أنه لما نزلت الآية الكريمة :

سبيل الله (١) .

قال النبي ﷺ « ادع لي زيدا . وليجئ باللوح والدواة والكتف) .
ولقد جمع زيد القرآن مع آخرين ونسخ المصاحف المعروفة في عهد
عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ ولذلك فهو ورفاقه لهم بهذه الميزة فضل
عظيم على الأمة الإسلامية إلى يوم الدين رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

٤ - شرحبيل بن حسنة :

من المسلمين الأوائل ومن الذين هاجروا إلى الحبشة .
وقد سيره أبو بكر في فتوح الشام ثم ولّاه عمر على ربيع من أرباع
الشام .

وهو من أهم كتاب النبي الكريم بإجماع المؤرخين ، بل إن كثيراً
منهم يقولون : إنه أول من كتب لرسول الله ﷺ .
وقد وفد الداريون من الشام على رسول الله ﷺ مرة قبل الهجرة
ومرة بعدها ، وفي المرة الأولى سألوا رسول الله ﷺ أرضاً فدعا بقطعة
من آدم ، وكتب لهم كتاباً ، كان كاتبه شرحبيل بن حسنة .

٥ - عامر بن فهيرة :

من أوائل المسلمين الذين تلقوا الإسلام عن النبي عليه الصلاة
والسلام . وكان عبداً مملوكاً للطفيل بن سخيرة .
وهو من أولئك الذين نالهم العذاب الشديد الرهيب لدخولهم في

الإسلام . فسا بذلك التعذيب ستمراً عظيماً .
وقد اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه . وبذلك زال عنه الكرب
والأذى .

ومن المعروف عنه أنه عندما اعتصم النبي الكريم بعار نور هو وصاحبه
الصديق - كان عامر يتوجه إلى الغار بالغم التي كان يرهاها . فيحتلبها
الرسول الكريم وصفيه الصديق .
ومن مفاخره التي يشدو بها الزمان أنه رافق رسول الله وصفيه
الصديق في الهجرة إلى المدينة .
وهو من أبطال معركة بدر الحالدة .

وكان له شرف كتابة رسالة الأمان لسراقة بن مالك بأمر من رسول
الله ﷺ وفي ذلك روى عن سراقة قوله :
- إني سألت رسول الله ﷺ أن يكتب لي كتاب موادة آمن به .
فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم !

٦ - عبد الله بن الأرقم :

قد أجمع المؤرخون الثقات وفي طليعتهم البخاري والطبري
وابن إسحاق أنه من كتاب النبي ﷺ .
ومما يروى عنه أن كتاباً ورد على النبي ﷺ فقال :
- من يجيب عني ؟

فقال عبد الله بن الأرقم :

— أنا يا رسول الله .

فأجاب عنه .

وعرض كتابه على الرسول الكريم فقال :

— أصبت وأحسن . اللهم وفقه !

فقال عمر ، وما زال استحسان الرسول الكريم لرده في نفسى حتى جعلته على بيت المال .

٧ - عبد الله بن رواحة :

وكان شاعراً مجيداً يعرف القراءة والكتابة منذ الجاهلية ، وهو من شعراء النبي الكريم ، وروى ثابت عن أنس بن مالك أن النبي عندما دخل مكة في عمرة القضاء - كان ابن رواحة بين يديه فيقول :

خلّوا - بني الكفّار - عن سبيله

نحن ضربناكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله !

فقال عمر بن الخطاب :

يا بن رواحة ، أفى حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا

الشعر !

فقال النبی الکریم :

— خلّ عنه یا عمر ، فوالذی نفسی بیده لکلامه أشدّ علیهم من
وقع النبل ! وهو من کتاب النبی الکریم بإجماع المؤرخین . .

٨ — عمرو بن العاص :

وهو من دهاة العرب ورسائلهم وقد هاجر إلى المدينة وبایع النبی
الکریم .

وقد اشتهر فی السياسة والحرب ، وفتح مصر زمن عمر بن الخطاب .
وعندما تولى عثمان بن عفان لم یلبث أن عزله عن مصر ، فانضم إلى
معاوية فی حربه ضد علیّ کرم الله وجهه ، وعندما استتب الأمر لمعاوية
أعاده أميراً علی مصر مرة أخرى .
وهو من کتاب النبی علیه الصلاة والسلام .

٩ — معاذ بن جبل :

كان من أصبح الصحابة وجهاً ، طويل القامة حسن الشعر ، جمیل
العینین .

وهو من السبعین الذین شهدوا العقبة من الأنصار .
وقد آخى رسول الله ﷺ بینه وبين ابن مسعود .
شهد المعارك النبویة کلها . وجمع القرآن فی عهد النبی الکریم .

وقال عنه رسول الله ﷺ :

«خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد ، ومعاذ بن جبل .
وأبي بن كعب ، وسالم مولى ابن حذيفة .
وكذلك قال عنه النبي الكريم :
«أَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ معاذ بن جبل» .

١٠ - معيقب بن أبي فاطمة الدوسي :

من المسلمين الأوائل في مكة . ومن مهاجري المسلمين إلى الحبشة في
الحجرة الثانية ثم قدم على النبي الكريم في المدينة المنورة ، وشهد بيعة
الرضوان وما بعدها من المشاهد .

وكان هو حامل خاتم رسول الله ﷺ .

وقد استعمله الشيخان . أبو بكر الصديق وعمر على بيت المال .
وهو من كتاب النبي ﷺ كما أكد جمهرة المؤرخين .

* * *

نجتزئ بهذا البيان عن طائفة من كتاب النبي عليه الصلاة والسلام ،
وقد ذكر القرطبي في تفسيره أن عددهم ستة وعشرون كاتباً ، وأوصلهم
العراقي إلى اثنين وأربعين كاتباً ، ونظم ذلك في أرجوزة لطيفة معروفة .

الكتاب القادم

ساعة مع القرآن العظيم

د. عبد العظيم المطعني

١٩٧٨/٥٢٩٠	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٥٣٥-٥٣٥-٩	الترقيم الدولي

١/٧٨/٢٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

الكتاب

هذا الكتاب

كانت الرسائل النبوية الشريفة طليعة الدعوة
الإسلامية التي سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا ،
وكتبت للإسلام النصر المبين .
وهذا الكتاب يتناول تلك الرسائل وأولئك
السفراء والكتاب أيام الرسول الكريم ، بما يجعل
الإسلام يقف أمام عظمة أية تظاهرات حديثة
موقف الريادة والسبق والابهار .

635

و

س

١ / ٢٠٠٨